الأسس الثقافية للأمن الفكري

دراسة تأصيلية تحليلية

د٠ دلال بنت إبراهيم المهنا(*)

تمهيد :

الحمد لله الذي أنعم على عباده بنعمة الأمن في الأوطان، والسلامة في الأبدان، القائل في معرض الامتنان: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾(١).

والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، فقال موجهاً عباد الله المؤمنين: «**من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا**» (٢) وبعد:

فإن من مقاصد الشرع الكبرى، وغاياته العظمى، حفظ أمن الإنسان، في سائر البلاد والأوطان، ليقوم برسالته السامية في عمارة الأرض، والسعي في رقي الأمم وتقدمها.

ولن يتحقق للإنسان ذلك المقصد العظيم، وتلك الغاية النبيلة، ما لم يضبط الإنسان نفسه، بالشرع الحنيف، والفكر الحصيف، المستمد من كتاب الله الشريف، وسنة نبيه ﷺ، وفهمهما الفهم الصحيح البعيد عن التشدد والغلو والتنطع والتطرف، إذ هي أساس البلاء، وبداية كل شر وداء.

(*) دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – بالرياض .

(١) سورة قريش: الآية٤.

(٢) رواه البخاري في الأدب الفرد (٣٠٠)، والترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه، والطبراني في الكبير، وحسنه الألباني.

ولو لم يكن من النتائج السيئة لانحراف الفكر عن مساره الصحيح إلا تعطيل إقامة شرع الله، كما أمر الله، لكان هذا الأمر كافياً لتضافر الجهود الوقائية والعلاجية في علاج تلك القضية.

ولأهمية حفظ الأمن في حياة الإنسان فكراً وسلوكاً، قدم الله عز وجل الدعاء بتحقيقه على الأمر بعبادته فقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[1].

ويأتي نهي النبي ﷺ عن مجرد التفكير في ترويع المسلم لأخيه المسلم كمعلم بارز من معالم بيان أهمية تحقيق الأمن في حياة الناس كما في قوله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً**»[2].

كما نبه المسلمون الأوائل إلى أهمية ضبط العقل والفكر بالشرع المطهر كما في سفر شيخ الإسلام الماتع (موافقة العقل للنقل).

إن كل ما تقدم يؤكد أهمية السعي الجاد لتحقيق نظرة تكاملية شاملة، تأصيلاً، ووقاية، وعلى كافة الأصعدة والمستويات الرسمية والفردية.

إلا أن مما يؤسف له في هذا المجال، أن يظهر وخاصة في المجتمعات الإسلامية من يطلق العنان لفكره للإخلال بالأمن مدعياً تحقيق مقاصد شرعيه، أو مصالح شخصية، لشبهة في عقله، أو شهوة في نفسه، أو انحراف في فكره.

والحق أن الشريعة الإسلامية بقواعدها العظمى، وثقافاتها الكبرى تنأى بالإنسان أن يكون معول هدم لمجتمعه وأمته، أو أن يفتح باب شر على أهله وذريته، أو أن ينازع في الحق دولته.

وانطلاقا من إيمان المؤسسات التربوية والتعليمية في المملكة العربية السعودية بأهمية مواجهة انحراف الفكر الأمني، والوقاية من شره قبل وقوعه،

---

(١) سورة إبراهيم: آية ٣٥.

(٢) رواه أبو داوود، حديث رقم (٥٠٠٤)، وصححه الألباني، تخريج الإرواء، ص(٢٥٧).

ومن ثم محاولة رسم آلية علاج ناجعة بعد ذلك، فآثرت المساهمة في مسيرة الخير في هذا البلد المعطاء بتقديم بحث بعنوان: (**الأسس الثقافية للأمن الفكري، دراسة تأصيلية تحليلة).**

وفق خطة تحوي عشرة مباحث، وخاتمة تحوي نتائج البحث، وتوصيات الباحثة، ثم فهارس الدراسة الفنية، على النحو التالي:

١- المبحث الأول: الغلو في الدين (جماعة الخوارج أنموذجاً).

٢- المبحث الثاني: بدعة التكفير (جماعة التكفير والهجرة أنموذجاً).

٣- المبحث الثالث: الانحراف في مفهوم الحماس (جماعة الإخوان المسلمين أنموذجاً).

٤- المبحث الرابع: الانحراف في فقه التعامل الصحيح مع الحاكم أو ولي الأمر.

٥- المبحث الخامس: الانحراف في مفهوم الجهاد.

٦- المبحث السادس: الانحراف في مفهوم الولاء والبراء.

٧- المبحث السابع: الخلل في مفهوم التوكل.

٨- المبحث الثامن: الخلل في أسس التعامل الشرعي مع أهل الذمة.

٩- المبحث التاسع: الخلل في ثقافة الحوار مع الآخرين.

١٠- المبحث العاشر: الخلل في ثقافة الصبر، واستعجال النتائج.

والباحثة على يقين تام أنها لن تعطي الموضوع حقه، ولن تؤدي له مستحقه، لتشعبه من جهة، وما يحتاجه من جهد عظيم لإحقاق الحق، وإنصاف الخلق، من جهة ثانية.

إلا أنه لما كان: "ما لا يدرك كلّه لا يترك جله"[١]، وكما قيل: "يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق"[٢]، فقد عقدت الباحثة العزم على الكتابة في الموضوع – بعد الاستخارة والاستشارة– عسى أن تسدي هذه الدراسة نفعا، أو تصحح خللا، أو تهدي ضالا، وما ذلك على الله بعزيز.

هذا، وقد بذلت في إعداد هذه الدراسة جهداً لا أدَّعي فيه الكمال، وأرجو به القبول من الله عز وجل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم فإنّ "من صدقت حاجته إلى شيء كثرت مسألته عنه، ودام طلبه له، حتى يدركه ويُحْكِمَهُ" [٣].

وإنّني أسأل الله الّذي "وسعت رحمته كلّ شيء، وشملت نعمته كلّ حيّ، أن ينفع فيه بباعث النّية، وأن يبلغني من عفوه ومغفرته الأمنية"[٤]، هو مولاي عليه توكلت وإليه أنيب، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

* *

(١) عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب: ١٤٠١/١٨.

(٢) هذا مَثَلٌ يُضْرَبُ في وجوب الاكتفاء من الشيء بما تتم به الحاجة، ويرويه بعضهم: "حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق". محمد بن عبد الله العبدلي، تمثال الأمثال، ٥٩٥/٢.

(٣) الخطابي، معالم السنن، ١٣٢/٤ .

(٤) ابن الزبير، ملاك التأويل، ١٤٨/١ .

المبحث الأول

الانحراف العقدي (جماعة الخوارج أنموذجا)

العلم بالعقيدة الصّحيحة: "أوّل ما يجب على كلّ مسلم ومسلمة، بل هو أوجب العلوم وأشرفها.كيف لا؟ وشرف العلم بشرف المعلوم، ومعلوم هذا العلم هو الله تعالى بصفاته وأسمائه، ومعرفه حقّه تعالى الواجب على العباد، وما يتبع ذلك من مسائل هذا الباب التّي أرسلت الرّسل من أجلها، ولها أنزلت الكتب عليهم، وهي خير ما اكتسبته القلوب وأفضله وأحبه وأنفعه"(١).

وما ذاك إلاّ لتوقف السعادة الحقة على العلم بالله عز وجل، فحاجة العبد إلى ربّه فوق كلّ حاجة، وضرورته إليه فوق كلّ ضرورة، فلا راحة ولا طمأنينة ولا أُنْسَ ولا سعادة إلاَّ بأن يعرف العبد ربه بألوهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، فكمّا يحتاج الإنسان إلى الطّعام والشّراب يحتاج إلى هذا الأمر بل حاجته لمعرفة ربه أعظم وأشد(٢).

ولأهمية العقيدة الصّحيحة جاء القرآن كلّه في الدّعوة إلى التّوحيد، يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: "وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمّنة لنوعي التّوحيد، بل نقول قولا كليا: إن كلّ آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، وداعية إليه، فإنّ القرآن إمّا خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التّوحيد العملي الخبري، وإمّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التّوحيد الإرادي الطّلبي، وإمّا أمر ونهي، وإلزام في نهيه وأمره، فهي حقوق التّوحيد ومكملاته، وإمّا خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإمّا خبر عن أهل الشّرك، وما فعل بهم من النّكال، وما يحلّ بهم في العقبى من

---

(١) محمد أمان، العقيدة الإسلامية وتاريخها، ص٥٠.

(٢) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ٨٦/١ بتصرف.

العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التّوحيد فالقرآن كلّه في التّوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن أهل الشّرك وأهله وجزائهم" (١).

وقد كان المسلمون إلى وفاة الرسول ﷺ "على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه، إلا من أظهر وفاقا، وأضمر نفاقا" (٢).

ثم ظهر التفرق والتشتت بين المسلمين، وتولى كبره فرقة أخبر المعصوم ﷺ عنها قبل ظهورها كما في حديث عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» (٣).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "ولهذا كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع، الخوارج المارقون" (٤).

وهم مستمرون إلى يوم القيامة، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وهذه العلامة التي ذكرها النبي ﷺ هي علامة أول من يخرج منهم ليسوا مخصوصين بأولئك القوم، فإنه قد أخبر في غير هذا الحديث أنهم لا يزالون يخرجون إلى زمن الدجال، وقد اتفق المسلمون على أن الخوارج ليسوا مختصين بذلك المعسكر" (٥).

---

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ٣٣٢/٣.

(٢) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١٤.

(٣) متفق عليه، البخاري: ٣٦١١، مسلم، ١٠٦٦.

(٤) مجموع الفتاوى، ٣٤٩/٣ .

(٥) المصدر السابق، ٤٩٥/٢٨-٤٩٦.

فمن هم الخوارج؟

تكاد تجمع الآراء على أن الخوارج هم: "الذين يكفرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة المسلمين وجماعتهم"(١). وتظهر أهم ملامح الغلو في عقائد الخوارج في:

١- الخروج على الحكام إذا خالفوا منهجهم وفهمهم للدين.

٢- تكفير أصحاب الكبائر.

٣- البراءة من الخليفتين الراشدين عثمان وعلي رضي الله عنهما.

٤- إسقاط حد الرجم عن الزاني، وإسقاط حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال دون من قذف المحصنات من النساء.

٥- إنكار بعضهم سورة يوسف، وهو من أقبح أقوالهم وأشنعها، وهذا القول ينسب إلى العجاردة منهم، حيث قالوا لا يجوز أن تكون قصة العشق من القرآن!!.

٦- القول بوجوب قضاء الصلاة على الحائض، فخالفوا النص والإجماع(٢).

وقد نهج أئمة المسلمين على مر العصور منهجا فريدا في معاملة هذه الفرقة الضالة، كما في قول علي ﷺ لهم: "إلا إن لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا: لن نمنعكم مساجد الله، ولا نمنعكم فيئا ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا"(٣).

وعلى هذا سار الأئمة بعدهم، إلى هذا العصر المبارك، الذي ظهرت فيه آراء هذه الفرقة الضالة وأفكارها، تحت مسميات باطلة أخرى: "إصلاح، جهاد، ..... بزعمهم!".

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ١/١١٤-١٣٨.

(٢) الكامل في التاريخ، ٤/٦٦٨.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ١٢/٣٥١، الأشعري، مقالات الإسلاميين، ١/٣٠٧.

فقد حاول ولاة الأمر -وفقهم الله- إعادة ضالهم، والسعي في هداية منحرفهم، بالحوار الهادف، والمناصحة المشفقة، تأسيا بسلفهم الصالح، حيث أرسل علي رضي الله عنه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج فحاورهم، وحاورهم هو بنفسه، فرجع منهم خلق غفير [1].

والعجب من عودة بعض زعمائهم قديما، وتمادي بعض أفراخهم في الغي والضلال حديثا، وحقا إنها ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [2].

وحين امتدت أيديهم إلي دولة التوحيد (المملكة العربية السعودية) -حرسها الله- بالبغي والعدوان، وامتدت أيديهم إلى حرمات المسلمين، وترويع الآمنين، وجب دفعهم وكف أذاهم عن البلاد والعباد، تأسيا بفعل سلف الأمة الصالح في هذا الشأن، فحين قتل الخوارج عبد الله بن خباب بن الأرت وبقروا بطن جاريته، طالبهم علي رضي الله عنه بقتلته فأبوا، وقالوا كلنا قتلة وكلنا مستحل دمائكم ودمائهم، فسل عليهم رضي الله عنه سيف الحق حتى أبادهم في وقعة النهروان [3].

وما كان لهذه الانحرافات، وتلك البليات، أن تظهر في بلاد المسلمين، لو اتبع القوم هدي النورين، وتفقهوا حقا في الدين، وتنبهوا إلى أهمية الأمن في الأوطان، والعافية في الأبدان، ولن يتم ذلك إلا بمعرفة حقوق الله، وحقوق ولي الأمر، وحقوق المسلمين، ومن أمنه ولي الأمر من: المعاهدين، والمستأمنين، وأهل الذمة، مما سيشار إلي بعضه في هذه الدراسة -بإذن الله-.

* *

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥/٥٦٥.

(٢) سورة الحج الآية: ٤٦.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ١٢/٣٥١.

المبحث الثاني

بدعة التكفير (جماعة التكفير والهجرة أنموذجاً)

فتنةُ التكفير فتنة امتُحِن المسلمون بها عبرَ التأريخ، عانت منها الأمّة الإسلامية طويلاً، وذاقت مرارتَها وتجرّعت غُصصَها ردحًا من الزمن، كم نجَم عنها من سفكِ الدماء وتناثُر الأشلاء وحلَّ جرّاءَها من نكباتٍ وأرزاء؟. وهي فتنة زلّت فيها أقدام وضلّت فيها أفهام، وبالتالي فهي جديرةٌ أن تشملها مؤتمرات التّذكير ومنتديات التفكير، لأن المجازفةُ بالتكفير شرٌّ عظيم، وخطر جسيم، يستحق من أجله أن: "تُسكَب العبرات ويُناح على الإسلام وأهلِه بما جناه التعصّبُ في الدين على غالبِ المسلمين من الترامي بالكُفر لا لسنّةٍ ولا لقرآن، ولا لبيانٍ من الله ولا لبرهان، بل لما غلَت به مراجلُ العصبيّة في الدين وتمكّن الشيطان الرجيم من تفريقِ كلمة المسلمين، لقَّنهم إلزاماتِ بعضِهم لبعض بما هو شبيهُ الهباء في الهواء والسّراب بقيعةٍ، فيا لله والمسلمين من هذه الفاقِرة التي هي أعظمُ فواقرِ الدين والرّزيةِ التي ما رُزِئ بمثلِها سبيلُ المؤمنين"(١).

على أن: "الأدلّة الدالّة على وجوب صيانةِ عِرض المسلم واحترامِه تدلّ بفحوى الخطاب على تجنُّب القدح في دينه بأيٍّ قادِح، فكيف إخراجه عن الملّة الإسلاميّة إلى الملةِ الكفريّة؟! فإنّ هذه جنايةٌ لا يعْدلُها جناية وجرأةٌ لا تماثِلها جرأة....."(٢)، ولذا فقد تواترت النصوصُ الزاجرة عن هذا المسلَك المشين، في كتاب العزيز المتين، وسنة سيد المرسلين.

فمن أدلة الكتاب الكريم: قول الحق سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (٣).

---

(١) الشوكاني، السيل الجرار، ٥٨/٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٤.

ومن أدلة السنة المطهرة: ما رواه ابنِ عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: «**إذا قال الرجلُ لأخيه: يا كافر فقد باء به أحدُهما، فإن كان كما قال وإلاّ رجعت عليه**» (١).

وعلى هذا النهج القويم سارَ صحابةُ الرسول الكريم ﷺ، فعن أبي سفيانَ قال: "سألتُ جابرًا وهو مجاورٌ بمكّة: هل كنتم تزعُمون أحدًا من أهل القبلة مشركًا؟ فقال: معاذ الله، وفَزع لذلك، فقال رجلٌ: هل كنتم تدعون أحدًا منهم كافرًا؟ قال: لا"(٢).

وقد حدد أهل العلم ضوابط لقضية التكفير، من أهمها:

١- أنّ التكفيرَ حكم شرعيٌّ ومحضُ حقّ الله سبحانه ورسوله: يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "فليس لأحدٍ أن يكفِّر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تُقامَ عليه الحجّة ويبيَّن له المحجَّة، ومن ثبت إسلامُه بيقين لم يزل عنه ذلك بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامةِ الحجة وإزالة الشبهة (٣).

٢- وجوب التفريق بين الفِعل والفاعل والإطلاقِ والتعيين وتنزيل النصوص على الوقائِع والأشخاص.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "فإنّ نصوصَ الوعيد التي في الكتابِ والسنة ونصوصَ الأئمة بالتكفير والتفسيق ونحو ذلك لا يستلزم ثبوتَ موجبِها في حقِّ المعيَّن إلاّ إذا وُجِدت الشروط وانتفَت الموانِع، لا فرقَ في ذلك بين الأصول والفروع"(٤).

---

(١) متفق عليه، البخاري (٥٧٥٣)، مسلم (٦٠).

(٢) الطبراني، الأوسط، ٧٣٥٤، أبو يعلى، ٢٣١٧، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح.

(٣) مجموع الفتاوى١٢/٤٦٤-٤٦٦.

(٤) المصدر السابق،١٠/٣٧٢.

٣- معرفة أنَّ الكفرَ نوعان: أكبر وأصغر، اعتقاديّ وعمليّ. وهذا ممّا التبس على كثيرٍ ممّن يتراشقون بالتكفير، فغفلوا عن الجمع بين النصوص والمنهجِ الصحيح فيما ظاهره التعارضُ.

٤- أنّه لا يُكفَّر باللوازِم من الأقوال، ولا يُعتبَر بما تؤول إليه مِن أفعال.

يقول الإمام الشاطبيّ رحمه الله: "مذهبُ المحقِّقين من أهلِ الأصول أنَّ الكفرَ بالمآل ليسَ بكفرٍ في الحال".

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: "إنَّ الذي يُحكَم عليه بالكفر مَن كان الكفرُ صريحَ قوله، وكذا من كان لازمَ قوله وعُرِضَ عليه فالتزمَه، أمّا من لم يلتزمه وناضَل عنه فإنّه لا يكون كافرًا ولو كان اللازم كفرًا"(١).

وعندما شاع الجهل القبيح، وقل العلم الصحيح، وغلب البعض شهوته، وشبهته، انحرف مسار بعض الجماعات عن الطريق المستقيم، فآثرت العدوان المبين، على عباد الله الموحدين، حكاما ومحكومين، بدعوى خروجهم عن الدين، ومفارقتهم للمسلمين، هكذا زعموا!.

ففي عام (١٩٧٣م)، أحيا (شكري أحمد مصطفى) الفكر الخارجي المقيت، مناديا أتباعه بالخروج إلى الجبال والصحراء، لأن الأمة الإسلامية كافرة في نظره حكاما ومحكومين، بسبب ما لديهم من معاصٍ!!.

ومن غرائب عقائدهم الباطلة:

١- أن من أخذ بأقوال الأئمة بالإجماع حتى ولو كان إجماع الصحابة أو بالقياس أو بالمصلحة المرسلة أو بالاستحسان ونحوها فهو في نظرهم مشرك كافر.

٢- أن العصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر وجاهلية لتقديسها صنم التقليد المعبود من دون الله تعالى، فعلى المسلم أن يعرف الأحكام بأدلتها ولا يجوز لديهم التقليد في أي أمر من أمور الدين.

---

(١) السخاوي، فتح المغيث٢/٦٩.

٣- أن قول الصحابي وفعله ليس بحجة ولو كان من الخلفاء الراشدين.

٤- أن كبار علماء الأمة في القديم والحديث -بزعمهم- مرتدون عن الإسلام، وبالتالي فلا قيمة لأقوالهم وكتبهم في التفسير والعقائد.

٥- دعوتهم إلى الأمية لتأويلهم الخاطئ لحديث: « **نحن أمة أمية** ... »، فدعوا بناء عليه إلى ترك الكليات ومنع الانتساب للجامعات والمعاهد الإسلامية، لأنها مؤسسات طاغوت داخلة ضمن مساجد الضرار.

٦- ترك صلاة الجمعة والجماعة بالمساجد لأن المساجد كلها ضرار وأئمتها كفار إلا أربعة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، وقباء، والمسجد الأقصى، ولا يصلون فيها أيضاً إلا إذا كان الإمام منهم.

٧- الزعم أن: شكري مصطفى هو مهدي هذه الأمة المنتظر، وأن الله تعالى سيحقق على يد جماعته ما لم يحقق على يد محمد ﷺ من ظهور الإسلام على جميع الأديان(١).

إن فتنة التكفير من أخطرِ ما بُليت به الأمّة فحوّلتها إلى إسرافٍ في أطراف، وقد بدأت هذه الفتنةُ بحَرب كلام، وانتهت إلى استحلال الدم الحرام، وزاد شططُها حينما حُمِل السلاحُ في وجه الأمّة، وأذكِيت نارها حينما برزت في صورةِ فتاوَى تكفيريّة تحريضيّة، ضد دولة التوحيد، وقبلة المسلمين، وبكل أسف تلقّف تلك الفتاوى حُدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، فسلكوا مسالكَ أهل البغيِ والإجرام، بدعوى أن الأمّة ممزّقةً والممتلكات مغتصَبة والمقدَّسات مستَلَبَة فهل المخرَجُ من هذه الرزايا هو تكفير الوُلاة والخروجِ على الجماعة وحمل السلاح في وجه الأمة؟!.

ألا يفيق هؤلاء؟! ألا يعتبِرون بمن حَولهم؟! ألم يقرؤوا التاريخَ ليدركوا كم أضرَّ هذا الفكرُ بالأمّة وصدّها عن دينها وخوّف شبابها من التمسُّك بالسنة والتزام الشريعة؟!.

---

(١) اللويحق، الغلو في الدين، ٢٤٤-٢٥٠ بتصرف يسير.

المبحث الثالث

الانحراف في مفهوم الحماس

(جماعة الإخوان المسلمين أنموذجاً)

فطر الله عباده على الحماس لأي أمر يؤمنون به، وهو أمر مطلوب، لأنه الموقد للهمة، والموصل بإذن الله للقمة. وكما قيل: "من تحمس لشيء اهتم به، وله، وعليه، دون أن يشعر بتعب أو ملل".

بيد أن هذا الحماس يجب أن يضبط بالعلم الشرعي، ولا يصح أخذ العلم من غير أهله الراسخين بالعلم العاملين به، استجابة للتوجيه الرباني: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ "[1].

ومما تدل عليه الآية أيضا: "وإن كنتم تعلمون فاسألوهم يبصرونكم، لما عندهم من تجارب وخبرات ومعرفة للواقع بالأدلة والقرائن".

والعاقل من الناس من يعرف للعالم حقه، و للكبير حقه، بالسؤال والمشورة وأخذ الرأي، كما حدث في غزوة حنين حين جمع مالكُ بن عوف النصري مع هوازن ثقيفَ كلها، واجتمعت إليه: مضر، وجشم... وغيرها، على النبي ﷺ لحربه، كان مع جشم: (دريد بن الصمة)، شيخ كبير ليس فيه إلا رأيه ومعرفته بالحرب"[2].

وفي ضبط نبوي بديع لحماس الذين أرادوا قتال النبي ﷺ يوم فتح مكة، أمر ﷺ عمه العباس رضي الله عنه أن يمنع أبا سفيان بخطم الجبل أو الوادي لينظر جيوش المسلمين فلما انبهر مما رأى، آثر عليه العباس بقوله: يا أبا سفيان النجاة إلى

---

(١) سورة النحل، الآية ٤٣.

(٢) أخرجه الحاكم٣/٤٨، والبيهقي (٦/٨٩) وللاستزادة: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، (٣/٤٦٥-٤٦٨).

قومك، فأسرع أبو سفيان فعرفهم بما أحاط بهم، وأخبرهم بتأمين رسول الله ﷺ: "كل من دخل داره، أو دار أبي سفيان، أو المسجد فمن سمع كلام الشيخ الكبير: أبو سفيان فقد أمن على نفسه وماله، ومن قاتل قوتل بأمر النبيﷺ (١).

وحينما انحرفت بعض الجماعات الإسلامية، وغلبت الحماس البعيد عن توجيهات الشارع الحنيف، وتوجيهات ذوي الرأي الحصيف، كما هو الحال مع جماعة الإخوان المسلمين التي ظهرت على يد: (حسن البنا، ١٩٠٦-١٩٤٩)، وعدها البعض كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة، على الرغم مما لديها ممن خلل واضح في أساس عظيم وهو: توحيد العبادة الذي لا يصح إسلام عبد إلا به، ويلاحظ ذلك بعدم إنكارهم الدعاء لغير الله، أو الطواف بالقبور، أو النذر لأصحابها، أو الذبح على أسمائهم ، وما إلى ذلك، إضافة إلى عدم استقرار أعضاء هذه الجماعة على معتقد معين، فلكل فرد من الجماعة معتقد يخصه بل الفرد الواحد يكون عنده خليط من المعتقدات، وما ذاك إلا لتضارب أقوال أئمتهم في جوانب الاعتقاد، وفقد الأساس العلمي في التمييز بين الحق والباطل، والاعتماد على الحماس المجرد غالبا، إضافة إلى قلة الفقه والدين والتخبط في الفتيا، لأن جهود التنظيم لم تدع للشباب وقتاً لطلب العلم الشرعي، ولربما كان ذلك الأمر مقصوداً، حرصا على استمرار غفلة الشباب عن أخطاء القادة.

ولم يقتصر الأمر عند ذلك الحد، بل تجاوز الحماس المجرد حده لدى القوم، حين دعوا إلى إحياء الخلافة الإسلامية بأي طريق ممكن، وبترصد عجيب لعثرات الولاة ، وتنقيب عن مثالبهم، سواءً كانت صدقا، أو كذبا ، والعمل على نشرها بين الشباب الناشئ ليبغضوهم فيهم ،والتعاون في ذلك مع أي جهة كانت، بغض النظر عن دينها، أو مبادئها، بدعوى: "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه".

---

(١) متفق عليه، البخاري، (٤٢٨٠)، مسلم، (١٧٨١)، وللاستزادة: زاد المعاد: ٣/٤٠٣-٤٠٥.

وإدراكا من قادة تلك الجماعة لأثر الشباب الفاعل في حياة أي أمة من الأمم، قامت بالزج بهم في فتن الدماء في مختلف البلاد، استغلالا لحماسهم، وطيشهم، وصغر سنهم، ثم التخلي عنهم بعد ذلك.

وأخيرا، فإن جماعة الإخوان المسلمين جزء من مشكلة، عليها أن تصفي فكرها، وتصحح خط سيرها، إن هي أرادت العودة إلى الله كما شرع الله"(١).

ويحسن ختم هذا المبحث المهم بكلام بديع لإمام أهل السنة في عصره الشيخ ابن باز رحمه الله، ومنه: "والشباب في أي أمة من الأمم، هم العمود الفقري الذي يشكل عنصر الحركة والحيوية إذ لديهم الطاقة المنتجة، والعطاء المتجدد، ولم تنهض أمة من الأمم غالباً إلا على أكتاف شبابها الواعي وحماسته المتجددة، أمم عندما أكرمها الله بهذا الدين، وببعثة سيد المرسلين محمد ﷺ، كان للشباب فيها مكان بارز في ركب الدعوة المباركة، كما كان للشيوخ مكان الصدارة في التوجيه والمؤازرة.

وانطلق الجميع بقيادة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، يؤسسون دولة الإسلام الأولى التي امتدت إلى آفاق بعيدة، ورفرفت راية الإسلام عالية فوق غالب المعمورة، في عصور الإسلام المختلفة التي كان الشباب في الطليعة يذودون عن حياض الإسلام، ويدافعون عن ديار المسلمين باليد واللسان، علماً وعملاً. ففي الوقت الذي كانوا يتقدمون فيه صفوف الجهاد لإعلاء كلمة الله كانوا أيضاً يتزاحمون بالمناكب في حلقات العلماء وجلسات الشيوخ، يلتقطون الحكمة من أفواههم، ويستنيرون بما عندهم من علوم، ويتلقون منهم النصح والإرشاد، ويستفيدون من ثمرة جهودهم وتجربتهم لمناهج الحياة المقرونة بالتطبيق العملي للإسلام وشرائعه.

---

(١) الهلالي، سليم، وزميله، الجماعات الإسلامية، ص٩٩-١٣٣، أحمد سلام، نظرات في منهج الإخوان المسلمين، ص١٠٥-١١٥.

كل هذا قد يؤدي بالتالي إلى ظهور حركات تتسم بطابع الوقوف من المجتمع والقيادات موقفاً قاسياً ومضاداً، قد يصل إلى نوع من المواجهة في بعض الأحيان، أو العمل السري الذي قد يخالطه ما يشينه، أو يغير من مجراه الطبيعي" (١).

* *

(١) baz.comwww.aben

المبحث الرابع

الانحراف في فقه التعامل الصحيح مع الحاكم أو ولي الأمر

من مسلمات الحياة عدم إمكانية استقامتها دون وجود إمام يلتف الناس حوله، يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه في طاعة الله، يردع الظالم منهم، ويعيد الحق على من سلب منه لتهنأ البلاد، ويسعد العباد، لأنه:

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم .. ولا سراة إذا جهّالهم سادوا (١)

وقد أكد الشارع هذا الأمر تأكيداً عظيماً بأن جعل "اتخاذ الإمارة دينا وقربة، يُتقرب بها إلى الله عز وجل"(٢).

كما انعقد إجماع المسلمين إلا من لا يعتد بخلافه على وجوب الإمامة وعلى وجوب نصب الإمام(٣).

قال الإمام أحمد رحمه الله: "الفتنة، إذا لم يكن إمام يقوم بأمر الناس"(٤).

على أنه ينبغي أن يعلم أن المقصود الأعظم من الإمامة: "إصلاح دين الخلق، الذي متى فاتهم خسروا خسرانا مبينا، ولم ينفعهم ما نَعموا به في الدنيا وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم"(٥).

بل لن تقوم للدين قائمة، ولن يشاد له مَعْلم، دون إمام يحق الحق، ويرحم الخلق، وفي هذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها فإن بني آدم لا تتم

---

(١) البيت للأفوه الأودي، ينظر: القالي، الأمالي، ٢/٢٥٠.

(٢) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ٢١٩.

(٣) ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٥، وأبي يعلى الفراء ص١٥، وابن حزم، الفصل، ٤/٨٧.

(٤) أبو يعلى، الأحكام السلطانية ص ١٩.

(٥) السياسة الشرعية، ص٣٩.

مصلحتهم إلا بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي ﷺ: «**إذا خرج ثلاثة في سفر فلْيؤمِّروا أحدهم**»[1]".

وقد نص المحققون من أهل العلم أن السمع والطاعة لولاة الأمر –في غير معصية– من أهم ما ينهض بتلك الإمامة، ويؤدي حق تلك الولاية، وفي هذا صلاح للعباد، وتنظيم لشؤون البلاد، إذ "لا إمامة إلا بسمع وطاعة"[2].

ولذلك تضافرت نصوص الكتاب الكريم، والسنة المطهرة، الدالة على ذلك، والمنجية بإذن الله من المهالك.

فمن أدلة الكتاب: قول العزيز الوهاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[3].

ومن أدلة السنة المطهرة: ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية**»[4].

ومن آثار السلف الكريم: قول الحافظ ابن رجب رحمه الله: "وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالحِ العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم"[5].

ومتى سمع المسلم وأطاع أُجِر، إذ هو ممتثل لأمر الشرع المطهر، والعكس صحيح.

---

(١) السياسة الشرعية، ص٢١٧.

(٢) الدرر السنية، ٢٨٨/٧.

(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٤) متفق عليه، البخاري، ٧١٤٤، مسلم، ١٨٣٩، واللفظ له.

(٥) جامع العلوم والحكم ، ٢/ ١١٧.

فعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أطاعنـــي فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعنـــي، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»(١).

وفي هذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "فطاعة الله والرسول واجبة على كل أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمر الله بطاعتهم فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال، فإن أعطوه أطاعهم وإن منعوه عصاهم، فما له في الآخرة من خلاق" (٢).

والسمع والطاعة لولاة المسلمين من الحكام والأمراء والعلماء شيء مجمع على وجوبه عند أهل السنة والجماعة، وهو أصل من أصولهم التي باينوا بها أهل البدع والأهواء.

وقل أن ترى مؤلفاً في عقائد أهل السنة، إلا وهو ينص على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر، وإن جاروا وظلموا وإن فسقوا وفجروا ما لم يأمروا بمعصية الله.

وعلى هذا النهج الرشيد، والرأي السديد كانت القرون المفضلة، حتى ظهر الانحراف، وكسر باب الفتنة، بالتشنيع على ولاة الأمر في المجالس والمجامع بدعوى واهية، هي إنكار المنكر والنصح للأمة!، ولا شك أن هذا الأمر منكر في حد ذاته، إذ هو لا ولن يزيل منكراً، بل سيؤدي إلى منكر أعظم، يؤجج الكره والبغض في قلوب العامة تجاه ولاة أمرهم، وفي قلوب الولاة على من فعله أو وافق عليه.

وفي ذلك يقول الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ: "... وأما ما قد يقع من ولاة الأمور من المعاصي والمخالفات التي لا توجب الكفر والخروج من

---

(١) متفق عليه، البخاري٢٩٥٧، مسلم، ١٨٣.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٦، ١٧.

الإسلام فالواجب فيها مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق، واتباع ما كان عليه السلف الصالح من عدم التشنيع عليهم في المجالس ومجامع الناس، واعتقاد أن ذلك من إنكار المنكر الواجب إنكاره على العباد، وهذا غلط فاحش وجهل ظاهر لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه من المفاسد العظام في الدين والدنيا كما يعرف ذلك من نور الله قلبه، وعرف طريقة السلف الصالح وأئمة الدين ... "[1].

ويوضح الشيخ محمد بن عبدالوهاب المنهج الصحيح في الإنكار على ولاة الأمر تفصيلاً حتى لا يدع مجالاً لدخول المفسدين في ذلك حيث يقول: " ... والجامع لهذا كله أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره، أن يُنصح برفق خُفية ما يشرف عليه أحد، فإن وافق وإلا استلحق عليه رجالاً يقبل منهم بخُفية..."[2].

ولعل فيما سبق: الجواب الكافي، لمن رام الدواء الشافي، وكان بحق يقصد الحق، ويرجو الرحمة للخلق.

* *

(١) الدرر السنية، ٧/٢٥-٢٦.

(٢) المصدر السابق، ٧/٢٥.

المبحث الخامس

الانحراف في مفهوم الجهاد

الجهادُ في سبيل الله عز وجل ذروة سنام الإسلام.

وهو اصطلاحا: "الدعاء إلى الدين الحق والقتال مع من لا يقبله"(١).

وقد شرع الجهاد لرضا الله سبحانه وتعالى ثم لخير البشرية عامة، ولذا كان يبدأ: "بالوسائل السلمية أولا، ثم عند اقتضاء الأمر للمحافظة على الدعاة وتحصين البلاد يلجأ إلى القتال، لتحقيق السعادة الشاملة للبشرية في دنياهم وأخراهم كما ارتضاها الإله الحكيم، وكل جهد يبذل في هذا المضمار فهو في سبيل الله وحده، ولإرضائه فقط" (٢).

وعلى هذا النهج الوسطي السمح، كانت القرون المفضلة الأولى، إلى أن بدأت بوادر الفرقة والخلاف تظهر على الساحة الإسلامية، مما أدى إلى ظهور خلل واضح لدى بعض المسلمين في الفقه الشرعي الصحيح للجهاد، لأسباب من أبرزها:

١- الفكر الحماسي الأرعن -كما سبق بيانه- وما يجره ذلك الفكر من ويلات ونكبات على الأمة الإسلامية بأسرها.

وفي إشارة بديعة لخطورة ذلك الأمر، قال الباري سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ " (٣).

---

(١) ابن عابدين، الحاشية، (١٢١/٤).

(٢) وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي (ص٢٤).

(٣) سورة النساء الآية: ٨٣، ٨٤ .

وفي إجابته ﷺ لمن جاءه يستأذِنُهُ في الجهادِ: «**أحيٌّ والداكَ؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجَاهِدْ**»[1]، ضبط نبوي كريم، لمن أراد الجهاد، دون مراعاة الأحكام الشرعية، والآداب المرعية، في هذا الشأن الخطير في حياة الأفراد والمجتمعات.

٢-اتباع البعض مداخل إغواء الشيطان في هذا الباب المهم، وهما: "مدخل التفريط ومدخل الغلو"، ومن المعلوم أن الشيطان إذا عجز أن يصد المسلم عن دينه اجتهد في تحريف هذا الدين في نفسه، ولذلك حذر الشارع أمر البدعة والمخالفة للسنة.

٣-صرف الجهاد عن هدفه الأسمى، وغايته العظمى، وغياب القواعد الشرعية، والمنح المرعية في هذا الشأن، كقاعدة: لا ضرر ولا ضرار، وقاعدة: ارتكاب أخف الضررين، وقاعدة: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وقاعدة: "تزال أعلى المفسدتين بارتكاب أخفهما"[2].

وحين ينظر الموفق الرشيد إلى مقصد الشارع من تشريع الجهاد، سيتضح له -قطعا- أن أغلب الأفعال التي ترتكب باسم الجهاد اليوم ليست زادًا للمعاد، ولن توصل أبدا إلى خير البلاد أو العباد، بل كيف يكون ذلك كذلك ، وقد غاب عن أذهان أولئك المنحرفين أن حق الجهاد أن يجاهد الإنسان: "نفسه ليسلم قلبه ولسانه وجوارحه لله فيكون كله لله وبالله لا لنفسه ولا بنفسه، ويجاهد شيطانه بتكذيب وعده ومعصية أمره فإنه يعد الفقر ويأمر بالفحشاء وينهى عن التقى والهدي والعفة والصبر وأخلاق الإيمان كلها فيجاهده بتكذيب وعده ومعصية أمره، والذي يقدر على مجاهدة شيطانه فهو أقدر على مجاهدة أعداء الله في الخارج بقلبه ولسانه ويده وماله لتكون كلمة الله هي العليا[3].

---

(١) البخاري، (٣٠٠٤) .

(٢) العز بن عبد السلام، القواعد الكبرى، ٢/٢٥-٤٥.

(٣) زاد المعاد، ٣/٨.

كما غاب عنهم أيضا: أن الله قد بعث محمدا ﷺ رحمة للعالمين، لا لسفك دمائهم، فهو رحمة للمسلمين يدافعون به عن دينهم وأنفسهم وأموالهم، عند توافر شروطه وانتفاء موانعه، ورحمة لغير المسلمين لهدايتهم إلى صراط الله المستقيم، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

وليس ثمة علاج ناجع لذلك الانحراف إلا العلم والعمل بالكتاب الكريم، والسنة المطهرة، والرجوع في ما أشكل إلى العلماء الربانيين الدالين على الحق، المشفقين على الخلق.

* *

المبحث السادس

الانحراف في مفهوم الولاء والبراء

الولاء والبراء أصل من أصول الإيمان، وهو عقيدة أساسها: الوسطيّةُ التي تنبذ الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء.

وفي هذا الشأن يقول الحق عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(١).

ولما كان الفهم الرشيد، والرأي السديد، أساسا لفهم أي عقيدة فهما صحيحا، كان السبب الرئيس لانحراف البعض في مفهوم الولاء والبراء، غياب ملامح وسطية هذا المفهوم العظيم عن أذهان أولئك المنحرفين الغالين، ونظرتهم إلى ذلك المفهوم نظرة التنطع والتشدد فقط.

على أنه يمكن إبراز أهم ملامح وسطية مفهوم الولاء والبراء في العناصر التالية:

عدم إكراه أحد على الدخول في الدين الإسلامي، قال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾(٢).

١- حفظ العهد مع غير المسلم، حال وَفَّاءه بعهده وذمّته.

قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣).

٢- حرمة دماء أهل الذمّة والمعاهدين، إذا وَفَّوْا بذمتهم وعهدهم.

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٤٥.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٥٦.

(٣) سورة التوبة الآية: ٤.

قال: ﷺ «**من قَتَل معاهَدًا لم يرَحْ رائحةَ الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا**»(١).

٣- الوصيّة بأهل الذمّة، وصيانة أعراضهم وأموالهم، وحفظ كرامتهم.

وهو توجيه النبي ﷺكما في حديث أبي ذر رضي الله عنه: «**إنكم ستفحتون أرضًا يُذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإنّ لهم ذِمّةً ورحمًا**» (٢).

٤- ليس ثمة تأثير لاختلاف الدين على حقُوق ذوي القربى، المنصوص عليها في مثل قول الحق جل وعلا: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا ﴾(٣).

٥- كفالة حرية الحركة والتنقل لأهل الذمة في أي بلد إسلامي، عدا الحرمين الشريفين، كما أن لهم حرية سكن أي بلد إسلامي، حاشا جزيرة العرب.

كما أن الخلل في فهم ضوابط المحبة القلبية وعلاقتها بانحراف الفهم الصحيح للولاء والبراء، سبب لا يقل أهمية عن سابقه، حيث قد غاب عن ذهن أولئك المتنطعين أن المحبة القلبية لمن كان على دين آخر ليست على درجة واحدة، بل إن من تلك المحبة ما ينقض أساس الولاء والبراء، ويَكْفُرُ صاحبُه بمجرّده، وهو: محبة المخالف للدين لذات دينه، ومنه ما يَنْقُصُ من الولاء والبراء ولا يَنْقُضُهُ، فيكون معصيةً تَنْقُصُ الإيمانَ ولا تنفيه. وهو محبة المسلم أو غيره، لفسقه، أو لما هو عليه من معصية، ومنه مالا يؤثر في كمال الإيمان أو في معتقد الولاء والبراء، وهو: الحب الطبعي كحبّ الوالد لولده المخالف لدينه، أو العكس، فهذا الحُبّ مباح، إذا لم يؤثر في بُغْضه للمخالفين في الدين، أو من وافقه في الدين وهو من الفاسقين العاصين. أمّا إذا أثّر في بُغْضه، فإنه يعود إلى أحد القسمين السابقين، بما فيهما من تفصيل.

---

(١) مسلم، (٢٥٤٣).
(٢) مسلم، (٦٦٥٧).
(٣) لقمان الآية: ١٥.

يدل لذلك قولُه سبحانه وتعالى عن نبيّه ﷺ في وصف حاله مع عمِّه أبي طالب الذي مات على غير الإسلام: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (١)، فأثبت اللهُ تعالى لنبيّه ﷺ محبَّةَ عمّه المخالف لدينه، ولم يَعْتبْ عليه هــذه المحبّة، ولا لامَهُ عليها، فدلّ ذلك على عدم مخالفة تلك المحبة لكمال الإيمان، وأنَّى تخالفه وقد وقعت من أكمل الناس إيمانا ﷺ ؟!.

وربما كان من أهم أسباب ذلك الانحراف أيضا: عدم الفهم الصحيح لمناط التكفير في مفهوم الولاء والبراء، وما أداه ذلك الخلل من: استباحة دماء الذِّمّيين أو المعاهدين أو أموالهم، أو معاملتهم بغلظةٍ وعُنْف دون سبب شرعي يُسوِّغُ ذلك، إلا ادّعاء أن هذا هو مقتضى الولاء والبراء، مع أن الرفق واللطف بالناس هو المأمور به ابتداء في الشريعة الإسلامية السمحة.

ولا شك أن تلك الأعمال غير المسؤولة من: استباحة الدماء والغلظة والعنف، ليست من: الولاء والبراء في شيء، بل إن (البراءَ)، منها براء!.

وقد تقدَّمَ بيان أسس سماحة عقيدة (الولاء والبراء)، وعدم تعارضها مع ما أمرنا به الشارعُ من البر والإحسان بالكفار غير المحاربين، ومن العَدْل مع المحاربين.

ولو فكر أولئك الغلاة بحق وعقل، وموازنة بين المصالح والمفاسد برهة واحدة في الآثار السلبية لانحراف مفهوم الولاء والبراء لديهم، وما حل بسببه من نكبات وويلات على العالم الإسلامي بأسره، بل على المسيرة الدعوية المباركة، لعلموا أنهم في واد، والولاء والبراء في واد آخر.

* *

(١) القصص الآية: ٥٦.

المبحث السابع

الخلل في مفهوم التوكل

"التّوكل نصف الدّين، والنّصف الثّاني الإنابة، فإنّ الّدين استعانة وعبادة، فالتّوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة"(١)، وهذا هو مقتضى قول الله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٢).

وما كان هذا شأنه، فحري بكل مؤمن أن يفهمه فهما سديدا، دون وكس أو شطط، مستنيرا بهدي الكتاب الكريم، والسنة المطهرة، حيث ورد فيهما من الأدلة ما لا يحصى، هديا للعباد في هذا الباب إلى طريق الرشاد.

فمن أدلة الكتاب الكريم:

١- قول الحق سبحانه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٣).

٢- قول الحق تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٤).

ومن أدلة السنة المطهرة:

١- ماروه ابن عباس رضي الله عنهما قال: "**حسبنا الله ونعم الوكيل**" **قالها إبراهيم، حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قالوا له:** ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (٥)".

---

(١) مدارج السالكين، ٨٦/٢.

(٢) سورة الفاتحة الآية: ٥.

(٣) سورة المائدة الآية: ٢٣.

(٤) سورة الطلاق الآية: ٣.

(٥) البخاري: ٤٥٦.

٢- ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير: تغدو خماصاً، وتروح بطانا**»[١].

ومن خلال الأدلة السابقة عرف أهل العلم التوكل بتعريفات متعددة، من أهمها:

١- تعريف الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله للتوكل: "هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، وتفرده بالخلق والتدبير، والضر والنفع، والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان، وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن، وإن شاءه الناس، فيوجب له هذا اعتماداً عليه، وتفويضاً إليه، وطمأنينة به، وثقة به، ويقيناً بكفايته لما توكل عليه فيه"[٢].

ب- وفي لطيفة من لطائف العلامة ابن عثيمين رحمه الله للمفهوم الصحيح للتوكل قال: "التوكل: هو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في جلب المطلوب وزوال المكروه، مع فعل الأسباب المأذون فيها" [٣].

إذ يلاحظ في التعريف إشارته إلى أهمية الأخذ بالأسباب المشروعة، شريطة: "الاعتقاد بأنها لا تستقل بالمطلوب، بل تُتعاطى من غير ركون إليها، ومع هذا فلها موانع، فإن لم يكمل الله الأسباب، ويدفع الموانع: لم يحصل المقصود، وهو سبحانه ما شاء كان وإن لم يشأ الخلق، وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الخلق" [٤].

---

(١) «**تغدو خِماصاً وتَرُح بِطَاناً**» أيّ: تغدو بُكرة وهي جياع وتروح عِشَاءً وهي ممتلئة الأجواف. ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث: ٨٠/٢. والحديث رواه الترمذي: ٢٣٤٤، وابن ماجه: ٤١٦٤، وأحمد: ٣٠/١-٥٢، وابن حبان:٧٣٠، والحاكم: ٤٣٥/٤ وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ٦٢٠/١: صحيح.

(٢) مدارج السالكين، ٩٣/١.

(٣) شرح كتاب التوحيد، ١٨٥/٢.

(٤) سليمان بن عبدالله، توحيد الخلاق، ص١٦٩-١٧٢.

وحين غابت هذه الضوابط الرئيسة لهذا المفهوم العظيم عن أذهان بعض المسلمين، ظهر الانحراف واضحا في فهم التوكل على الحقيقة لدى ذلك البعض: "فأهل السموات والأرض المكلفون وغيرهم في مقام التوكل، وإن تباين متعلق توكلهم: فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في الإيمان، ونصرة دينه وإعلاء كلمته، وجهاد أعدائه، وفي محابِّه وتنفيذ أوامره.

ودون هؤلاء: من يتوكل عليه في استقامته في نفسه، وحفظ حاله مع الله، فارغاً عن الناس.

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في معلوم يناله منه: من رزق، أو عافية، أو نصر على عدو، أو زوجة، أو ولد.. ونحو ذلك.

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في حصول الإثم والفواحش، فإن أصحاب هذه المطالب لا ينالونها غالباً إلا باستعانتهم بالله وتوكلهم عليه.

فأفضل التوكل التوكل في الواجب أعني واجب الحق، وواجب الخلق، وواجب النفس. وأوسعه وأنفعه: التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية، أو في دفع مفسدة دينية، وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله، ودفع فساد المفسدين في الأرض، وهذا توكل ورثتهم، ثم الناس بعدُ في التوكل على حسب هممهم ومقاصدهم، فمِنْ متوكل على الله في حصول الملك، ومن متوكل في حصول رغيف" (١).

ومن أهم مظاهر الانحراف في ذلك ما يلي:

١- النظر إلى التوكل على أنه تواكل وترك للأسباب، والذين وقعوا في هذا الانحراف على صنفين:

أ- صنف يعلم أن التوكل لا ينافي فعل الأسباب والأمر واضح عنده بلا شبهة، ولكنه ينطلق من هذا الفهم المنحرف في تبرير عجزه وكسله وتفريطه، فهذا عجزه

(١) مدارج السالكين، ١١٣/٢، ١١٤.

توكل، وتوكله عجز، وهذا الصنف من الناس لا ينقصه إلا أن يتقي الله عز وجل، ولا يبرر شهوته بشبهة، وكثيراً ما يشتبه في هذا الباب: المحمودُ الكامل بالمذموم الناقص، ومنه: اشتباه التوكل بالراحة، وإلقاء حمل الكَلِّ فيظن صاحبه أنه متوكل، وإنما هو عامل على عدم الراحة [1].

ب- أما الصنف الثاني: فقد أُتي من جهله بحقيقة التوكل على الله عز وجل وجهله بسنن الله سبحانه في ارتباط المسببات بالأسباب، وأن الأخذ بالأسباب بضوابطها الموضحة سابقاً لا ينافي التوكل، بل إن تركها قدح في حكمة الله عز وجل، ونقص في العقل، وما علم صاحب هذا الفهم أن التوكل عليه سبحانه هو أقوى الأسباب في حصول المطلوب ودفع المكروه.

يقول الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى: "واعلم أن تحقيق التوكل لا يُنافي السعي في الأسباب التي قدّر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكّل، فالسّعيُ في الأسباب بالجوارح طاعةٌ له، والتوكل بالقلب عليه إيمانٌ به، كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ "[2].

وقد كان ﷺ: "يدخر لأهله قوت سنة وهو سيد المتوكلين، وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد والمزاد، وجميعُ أصحابه، وهم أولو التوكل حقًّا، ... فكانت هممهم رضي الله عنهم أعلى وأجل من أن يصرف أحدهم قوة توكله واعتماده على الله في شيء يحصل بأدنى حيلة وسعي، فيجعله نصب عينيه، ويحمل عليه قوى توكله"[3].

---

(١) مدارج السالكين، ١٢٣/٢، ١٢٤.

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٤٩٨. والآية في سورة النساء، الآية: ٧١.

(٣) مدارج السالكين، ١٣٤/٢، ١٣٥، بتصرف

٢- ويقابل الانحرافَ السابق انحرافٌ في الجانب المقابل، وهو الإفراط في فعل الأسباب والتعلق بها محبةً وخوفاً ورجاء، وهذا خلل في التوحيد، وهو إما شرك أكبر: إذا اعتقد فاعل الأسباب أنها تؤثر استقلالاً، وإما شرك أصغر: إذا لم يعتقد ذلك، ولكنه تعلق بها وحابى من أجلها، وجعل أكثر اعتماده عليها في حصول المطلوب وزوال المكروه"[١].

* *

(١) ابن عثيمين، شرح كتاب التوحيد، ٢/١٩٠.

المبحث الثامن

الخلل في أسس التعامل الشرعي مع أهل الذمة

كفلت شريعة الإسلام الغراء الحقوق الواجبة لأهل الذمة، كما أرشدت المسلمين إلى كيفية التعامل معهم، وفق أسس من أهمها:

١- العدل معهم وعدم التعدي عليهم في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، بل لا يجوز ترويعهم وإخافتهم، ويعاملون بالعدل والقسط.

وفي هذا يقول الحق ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

قال البيضاوي: "لا يحملنكم شدة بغضكم على ترك العدل فيهم، فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل، كقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيًا مما في قلوبكم: ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، أي: العدل أقرب للتقوى، صرَّح لهم بالأمر بالعدل، وبيَّن أنَّه بمكانٍ من التقوى بعدما نَهاهم عن الجور، وبيَّن أنَّه مقتضى الهوى، وإذا كان هذا العدل مع غير المسلمين فما ظنك بالعدل مع المؤمنين" [2].

وعن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم عن رسول الله ﷺ قال: «**ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلَّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة**»[3].

وقد طبق المسلمون الأوائل هذه التعاليم والأحكام على مر العصور والأزمنة ومن الشواهد على ذلك أن الفاروق ﷺ كان يسأل الوافدين عليه من الأقاليم عن

---

(١) سورة المائدة، الآية ٨.

(٢) تفسير البيضاوي ٣ /٢٢٢، وللاستزادة: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٦٥/١

(٣) أبو داود: (٣٠٥٢)، وقال: حسن صحيح، وضعفه الألباني، كما في ضعيف الجامع، (٥٣١٤).

حال أهل الذمة والمعاهدين، خشية أن يكون أحد من المسلمين قد أفضى إليهم بأذى، فيقولون له: "ما نعلم إلا وفاء" أي: وفاء بمقتضى العقد والعهد الذي بينهم وبين المسلمين(١).

ودخل ذمِّيٌّ من أهل حمص أبيض الرأس واللحية على عمر بن عبد العزيز، فقال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله. قال عمر: ما ذاك؟ قال: العبّاس ابن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي. وكان عددٌ من رؤوس النّاس، وفيهم العباس بمجلس عمر، فسأله: يا عبّاس ما تقول؟ قال: نعم، أقطعنيها أبِي أمير المؤمنين، وكتب لي بِها سجلاً. فقال عمر: ما تقول يا ذمّيّ؟ قال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله تعالى. فقال عمر: نعم، كتاب الله أحقّ أن يتبع من كتاب الوليد، قم فاردد عليه ضيعته يا عبّاس (٢).

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: "أحكام المستأمن والحربي مختلفة، لأن المستأمن يحرم قتله وتضمن نفسه ويقطع بسرقة ماله، والحربي بخلافه" (٣).

وقال إمام أهل السنة في عصره الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: "لا يجوز قتل المستأمن الذي أدخلته الدولة آمناً، ولا قتل العصاة ولا التعدي عليهم، بل يحالون للحكم الشرعي، هذه مسائل يحكمها الحكم الشرعي"(٤).

٢- دعوتهم إلى الإسلام وبيان أحكامه بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن:

فمن سماحة هذا الدين، إذنه لغير أهله من أهل الذمة والمعاهدين والمستأمنين أن يعيشوا في أرضه مع عدم إكراههم على الدخول في الإسلام.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٤ /٢١٨.

(٢) ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢ /١١٥.

(٣) ابن القيم، أحكام أهل الذمة ٢ /٧٣٧.

(٤) مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري ص ٢٩.

٣- أن يخالطوا المسلمين ويتأملوا في محاسن الإسلام وشرائعه وينظروا فيها، فيجدوها مؤسسة على ما تحتمله العقول وتقبله، فيدعوهم ذلك إلى الإسلام، ويرغبهم فيه، فيدخلوا فيه، وهذا أحب إلى الله من قتلهم. والمقصود من ذلك أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، وعدم اختلاطهم بالمسلمين يفوت هذه المصلحة، وهي معرفتهم بالإسلام.

وفي هذا يقول السبكي رحمه الله: "وعدم اختلاطهم يبعدهم عن معرفة محاسن الإسلام، ألا ترى من الهجرة إلى زمن الحديبية لم يدخل في الإسلام إلا قليل، ومن الحديبية إلى الفتح دخل فيه نحو عشرة آلاف، لاختلاطهم بهم، للهدنة التي حصلت بينهم فهذا هو السبب في مشروعية عقد الذمة"(١).

٤-الإحسان إلى المحتاج منهم بالصدقة والصلة:

فطر الله الإنسان على محبة من أحسن إليه، حتى لو كان على دين مخالف لدينه.

وقد تضافرت أدلة الكتاب العزيز، والسنة المطهرة، على التنبيه على هذه الفطرة.

فمن أدلة الكتاب العزيز: قول الله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (٢).

ومن أدلة السنة المطهرة: ما روته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: «**قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد قريشٍ إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ، فاستفتيت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنّ أمي قدمت عليَّ وهي راغبة،**

(١) مجموع الفتاوى ٢ /٤٠٤.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ٨.

أفأصلها؟ قال: نعم، صليها»[1]، وأنزل الله تعالى فيها: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [2].

ومن صور الإحسان إلى أسرى أهل الذمة والمستأمنين، والحربيين، الإحسان إلى الأسير منهم.

وفي هذا يقول الحق سبحانه و تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [3].

قال الإمام قتادة رحمه الله: "لقد أمر الله بالأسارى أن يحسن إليهم، وإنهم يومئذ لمشركون" [4].

ويحسن ختم هذا المطلب بالإشارة إلى بعض ما ورد في فتوى مجلس هيئة كبار العلماء في جلسته الاستثنائية المنعقدة في مدينة الرياض يوم الأربعاء (٣/١٣ /١٤٢٤هـ) وفيها: ".... ومن أدخله ولي الأمر المسلم بعقد أمان وعهد فإن نفسه وماله معصوم لا يجوز التعرض له، ومن قتله فإنه كما قال النبي ﷺ «**لم يرح رائحة الجنة**»[5]. وهذا وعيد شديد لمن تعرض للمعاهدين، ومعلوم أن أهل الإسلام ذمتهم واحدة، يقول النبيﷺ: «**المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم**» [6].

ولما أجارت أم هانئ رضي الله عنها رجلا مشركا عام الفتح وأراد علي ابن أبي طالب ﷺ أن يقتله ذهبت للنبي ﷺ فأخبرته، فقال: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**» [7].

---

(١) البخاري (٥٩٧٩).
(٢) سورة الممتحنة الآية: ٨.
(٣) سورة الإنسان، الآيتان ٨ – ٩.
(٤) السيوطي، الدر المنثور ٨ /٣٧١ .
(٥) البخاري، (٢٩٩٥).
(٦) الترمذي (٢١٢٧)، (٤٧٣٤)، أبو داود (٢٠٣٤)، أحمد (١١٩/١).
(٧) متفق عليه، البخاري، ٣٨٣٦، مسلم، ١٧٠٢.

المبحث التاسع

الخلل في ثقافة الحوار مع الآخرين

الحوار في اللّغة مشتقّ من الحوْر، وهو: الرّجوع عن الشّيء وإلى الشّيء. والمحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة، وهم يتحاورون أيّ: يتراجعون الكلام، والمحاورة: المجاوبة، والتّحاور: التّجاوب.

ويقال: كلمته فما أحار إلى جواب، واستحاره، أي: استنطقه[1].

وقد ورد الحوار في القرآن الكريم بمعنى تراجع الكلام والمخاطبة والمجاوبة فيه وذلك في ثلاثة مواضع هي:

١- قول الله ﷻ: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾[2].

٢- قول الحقّ سبحانه: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾[3].

٣- قول الباري تبارك وتعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[4].

أمّا في السنّة المطهرة فقد ورد الحوار بمعنى الرّجوع، ومن الشّواهد على ذلك:

١- عن أبي ذر ﷺ، أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ليس من رجل ادّعى لغير أبيه وهو يعلمه إلاّ كفر، ومن ادّعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده**

---

(١) الجوهري، الصحاح، ٢/٦٣٨-٦٤٠.

(٢) سورة الكهف: الآية: ٣٤.

(٣) سورة الكهف: الآية: ٣٧.

(٤) سورة المجادلة: الآية: ١.

من النّار، ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله وليس كذلك إلاّ حار عليه» (١).

٢- عن عبد الله بن سرجس ﷺ قال: «**كان رسول الله ﷺ، إذا سافر يتعوذ من وعثاء السّفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكون**(٢)**، ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال**»(٣).

والحوار اصطلاحا: «نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتّعصب» (٤).

ويعد أسلوب الحوار الهادئ دليلا على ثقة المحاور، والتزامه بأخلاقيات الحوار وآدابه، لأنّه بمقدار ما يكون الدّاعية هادئاً في حواره، متمكّناً فيه محيطاً بآدابه وأساليبه، يكون أقدر على التأثير الفاعل، والنّجاح الباهر.

وعلى المحاور مداومة دراسة هذا الأسلوب، والعناية به، وتأصيله، ومن ثَمَّ الرّجوع إليه بين الحين والآخر، ليقَوّم طريقته في النّقاش وأسلوبه في عرض المسألة، فيُحسِّن أداءه ويصلح أخطاءه، ليتحقّق له الهدف والغاية من كلامه وحواره مع الآخرين.

كما أن على المحاور أيضا أن يعلم أنّ الكلمة رسالة وأمانة، رسالة يجب أن تقال وتؤدّى، وأمانة يجب أن يراعى فيها كلّ ما من شأنه أن يفي بوصولها

---

(١) مسلم، ٦١.

(٢) هذه الرواية هي المحفوظة في صحيح مسلم، ويروى: بعد الكور، قال الترمذي: ٤٦٤/٥: "وكلاهما له وجه، إنما هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر أو من الطاعة إلى المعصية، إنما يعني الرجوع من شيء إلى شيء من الشر"، وللاستزادة، انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١١١/٩، والنهاية في غريب الحديث: ٢٠٨/٤.

(٣) مسلم: حديث رقم: ١٣٤٣.

(٤) محمد ديماس، فنون الحوار والإقناع، ص١١. وللاستزادة انظر: الندوة العالمية للشباب، أصول الحوار، ص١٢.

للآخر، بكلمة طيّبة وأسلوب هادئ، فالكلمة الطيّبة والأسلوب الهادئ في الحوار سلاح المحاور في أداء رسالته النبيلة، سواء في ابتداء عرضها، أوفي الدّفاع عنها وتفنيد الشّبه المثارة حولها كما أنّها سبيل المحاور في التّعامل مع محاوريه، كلّ على قدر علمه وفهمه ومنزلته، خاصة إذا تباينت الآراء واختلفت وجهات النظر [1].

ومن تمام ثقافة الحوار الهادئ مع الآخرين مراعاة مستوى عقولهم وإدراكهم، فيبدأ معهم بالبسيط الواضح، ثمّ يتدرّج معهم في المحاورة الهادئة والمناقشة الهادفة، حتّى يصل إلى الغاية المنشودة من تلك المحاورة والمناقشة.

وليحذر المحاور أن يبدأ حواره مع الآخرين بمبدأ فرض الرأي عليهم، بل الأجدى أن يبين لهم بهدوء وروية أنّ الحقّ قد يكون معهم، كما قد يكون معه، وأنّ هدفه من هذا الحوار الوصول للحقّ لا غير، سيراً على منهج القرآن الكريم في ذلك كما في قول الحقّ ﷻ: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [2].

ويكمل منظومة الحوار الهادئ مع الآخرين مراعاة التّوازن في الصّوت فلا يرفع المحاور صوته أكثر ممّا ينبغي، إذ أن صاحب الصّوت المرتفع غالباً يكون قليل المضمون، ضعيف الحجّة، يستر عجزه بالصّوت المرتفع على عكس صاحب الصّوت الهادئ الّذي يعكس بهدوئه عقلاً متزناً وفكراً منظماً، وحجة وموضوعية.

ولينظر المحاور إلى البحر، فإنه سيجد الصّخب والضّجيج على الشّاطئ حيث الماء ضحل، لا جواهر فيه ولا درر، بينما يكون الهدوء لدى الماء الأعمق حيث نفائس البحر وكنوزه، وحقاً إن الماء العميق أهدأ [3].

---

(١) الزمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص٣٢.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٤.
(٣) فنون الحوار والإقناع ص١٩٧.

ولا يعني ذلك أنّ يخفض المحاور صوته لدرجة يعجز معها ضعيف السّمع أو حتّى المستمع السّوي عن متابعة الكلام بل: خير الأمور الوسط.

ولكي تتمّ الفائدة من الحوار الهادئ مع الآخر فينبغي عدم سرد الكلام سرداً، بل يجزئه ويرتبه، ويتمهل فيه، ليفكر فيه سامعه تأسياً برسول الهدى ﷺ الّذي كان كلامه فصلاً يفهمه من يسمه وقد كان ﷺ إذا تكلّم بكلمة أعادها ثلاثاً لتفهم منه [1].

ولعل العلاج الناجع لمظاهر الانحراف في ثقافة الحوار مع الآخر يكون باتباع المحاور والقواعد والضّوابط والوسائل التالية:

١- أن يتّصف الحوار مع الآخر بالهدوء والصّفاء والتّوازن، وقبل الدّخول في الحوار يجب على المحاور أن يتأكّد من قدرته على قيادة نفسه وضبط أعصابه، إذ لا يمكن لمن لا يسيطر على نفسه أن يسيطر على الآخرين أو يخضعهم للحقّ الّذي معه، مهما كان واثقاً من صحّة وصدق أفكاره، فإنّه إن لم يخضع نفسه ويملكها، تعذر عليه أن ينقل أفكاره إلى الغير.

٢- الهدوء المطلوب هو النّاجم عن قوّة وإرادة، والّذي يصحبه ترتيب الأفكار وحسن الاستماع للخصم، والفهم والاستيعاب لكلامه وتمييز بين ما يمكن إقراره وما يجب ردّه، ومراقبته لتصرفات الطرّف الآخر، وليس الهدوء المطلوب هو الذي يكون عن خمول وخور، وضعف وسوء فهم أو لا مبالاة، فإنّ هذا سلبية تعصف بالحوار، ووسيلة لفشل المحاور واندحاره وإن كان محقاً.

٣- على المحاور ألاَّ يعرف الخوف والقلق، والذّعر والاضطراب، وإذا وجد عنده شيء من ذلك لا شعورياً، فعليه أن يتقن إخفاءه بمجرد الشّعور به، وأن

---

(١) أحمد الصويان، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، ص١٠٢-١١٤، ١٩٧، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص٢٥٩-٢٦٤.

يسارع إلى حالته الطبيعية، واستعادة توازنه، ليوحي إلى الآخر بالثبات والقوة -خاصة- في حالة إذا كان المحاور يملك الحقّ البيّن، والآخر لا يملكه، ومع ذلك يعاند ويكابر ويماطل، ويرفض الأدلة الواضحة والبراهين الثّابتة، ويلقي بالشّبه والأباطيل لزعزعة محاورة الحقّ.

٤- حتى يحافظ المحاور على هدوئه، عليه أن يحسن الاستماع والصّمت والإنصات إذ الثّرثرة تفقده الاحترام والثّقة، وعليه أن يعتاد على مواجهة الشّبه والاعتراضات وكأنّها أمورٌ عادية.

٥- على المحاور ألاّ يرفع صوته أكثر مما يحتاج إليه الآخر، ففي ذلك رعونة وإيذاء ورفع الصّوت لا يقوي حجة صاحبه (١).

* *

(١) الحوار.. آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: ص٢٥٩-٢٦٠.

المبحث العاشر

الخلل في ثقافة الصبر، واستعجال النتائج

إنّ أعظم الأمور قدراً، وأعمّها نفعاً، ما استقام به أمر الدّين والدّنيا، وانتظم به صلاح الآخرة والأولى، إذ باستقامة الدّين تصحّ العبادة، وبصلاح الدّنيا تكون السّعادة، ولن يكون للمرء سعادة إلاّ بالتّريث والمصابرة والانتظار، وهذه الخصال الثّلاث متّفقة تماماً مع سنن الكون القائمة، و نظمه الدائمة، فالزّرع لا يستوي ساعة البذر، ولا ينضج ساعة النّبت، بل لابدّ من المكوث شهوراً حتّى يجنى، والجنين يتمّ في بطن أمّه شهوراً حتّى يتمّ خلقه. وهكذا سنة الله في الكون.

وقد أعلمنا الله سبحانه أنّه خلق العالم في ستّة أيام، وما كان يعجزه عز وجل أن يقيم دعائمه في طرفة عين، ومن أجل هذا كان خُلُق الصّبر في حياة النّاس عامة من الأهمية بمكان.

ولقد ضرب الله المثل بعَلَم الهدى محمد ﷺ فأمره بالصّبر وحثّه عليه في أكثر من آية من آيات الذّكر الحكيم، بلغت ما يقارب التّسعين آية[1]، وليس هناك خلق من أخلاق القرآن الكريم–عدا الصبر– ذكر بهذا الحشد الهائل في كتاب الله الكريم، وفي سنّة النّبي ﷺ، وذلك لما للصبر من آثار بارزة، ومعالم واضحة في حياة النّاس عموماً، لأنّ "الإيمان نصفان: نصفٌ شكر، ونصفٌ صبر"، وتلك هي ثقافة الصبر الحقيقية.

ومتى انحرفت تلك الثقافة عن مسارها الصحيح، كانت نتائج ذلك الانحراف وخيمة على الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه، وأدت إلى ظهور آفة استعجال تحقيق النتائج!.

---

(١) ذكر ابن قيم الجوزية رحمه الله في مدارج السالكين: ١١٥/٢ عن الإمام أحمد رحمه الله أنّه قال: "الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً".

الذي يعد من أشد الآفات التي يصاب بها بعض المسلمين، خاصة فئة الشباب الحائرين، بسبب بعدهم عن الهدي المبين، والسير خلف شعارات المحرضين الحاقدين، على دولة التوحيد وقبلة المسلمين.

ويريد هؤلاء بهذا الاستعجال، زعما وجهلا: "تغيير الواقع الذي يحياه المسلمون اليوم في طرفة عين، أو أقل من ذلك دون نظر في العواقب وما قد يجره ذلك التصرف من المصائب" -كما سبق بيانه-، وليس ثمة شك أن الاستعجال من طبيعة الإنسان بشهادة خالقه، الرحيم الرحمن: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[1].

وقد نظر الإسلام إلى الاستعجال نظرة عدل وإنصاف، فيحمده مرة، و يذمه أخرى:

١- فالمحمود من الاستعجال: ما كان ناشئا عن تقدير دقيق لعواقب الأمور، وآثارها، و إدراك تام للظروف، والملابسات، وعن حسن إعداد، وجودة ترتيب، في ظل التعاليم الشرعية، والآداب المرعية... وذلك كما في قول الحق عز وجل: ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[2].

فالظرف مناسب، والفرصة مواتية، والعاقبة محمودة، والنفس صافية مشرقة، فما الذي يحمل موسى على التواني والتأخير؟!.

أما المذموم من الاستعجال: فهو ما كان دافعه نفسيا مجردا من تقدير العاقبة، و الإحاطة بالظروف والملابسات، وأخذ الأهبة وحسن الاستعداد.

وهذا ما أشار إليه ﷺ في إجابته لخباب بن الأرت رضي الله عنه حين جاء يبين ما يلقاه هو وإخوانه من الأذى والاضطهاد، ويطلب منه أن يستنصر ربه، وأن يدعوه، فقال له: «**كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيها،**

(١) سورة الأنبياء، الآية ٣٣.

(٢) سورة طه، الآية: ٨٣.

فجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيشق اثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[1].

وبالاستقراء والتتبع يظهر أن للاستعجال آثاره السيئة، وعواقبه الوخيمة على البلاد والعباد، حيث يؤدي إلى:

١- الفتور، ونسيان الهدف الأسمى للإنسان في حياته الدنيا، من: تحقيق العبودية الكاملة لله كما شرع الله، دون إفراط أو تفريط، وينبغي لمن أصيب بذلك الداء أن يعلم: "أن القليل الدائم خير من الكثير المنقطع".

٢- وحين يأخذ البعض بفتوى مأجورة، أو فكرة مبتورة، فيسمى له الانتحار المحرم بالشهادة المرجوة، فهل يملك هو أو من أفتاه إجابة للسؤال أمام مولاه؟.

٣- تعطيل مصالح البلاد والعباد، و الرجوع إلى الوراء عشرات السنين، والمضي في الاعتداء على الدماء والأموال والأعراض، وزيادة وضع العقبات على الطريق، وحقا: من استعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمان، ويحسن بيان أن من أهم أسباب ظهور ذلك الداء، وشيوع ذلك البلاء:

١- فطرة الإنسان على الاستعجال: كما سبق بيانه، وإن لم يضبط الإنسان نفسه، ويلجمها بلجام العقل والنقل فإنها ستدفعه حتما إلى الاستعجال، الذي قد يكون بالنسبة له -ومن كان على شاكلته- بداية الزوال.

٢- الحماس المجرد من تعاليم الشرع الحنيف، والفكر الحصيف، ولذلك جاءت آيات القران الكريم موجهة للنبي ﷺ والمؤمنين في مرحلة الدعوة المكية إلى

---

(١) البخاري، ٣٦١٢.

الصبر، و الجلد، وقوة التحمل، كما في قول الباري عز وجل: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (١).

٣- الجهل في فقه إنكار المنكر: والفهم الخاطئ لفقه تطبيق الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، وخاصة حديث المشهور: في قوله ﷺ: «**من رأى منكم منكرا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» (٢).

وينسى هؤلاء أنه ليس كل منكر تجب إزالته أو تغييره على الفور دون مراعاة للمصالح والمفاسد. وإن ذلك مشروط بألا يؤدي إلى منكر أكبر منه، فإن أدى إلى ذلك فعلا، أو توقعا، وجب التوقف، مع الكراهية القلبية له، ومع مقاطعته و البحث عن أنجع الوسائل لإزالته والأخذ بها، ومع العزم الصادق على الوقوف في أول الصف حين تتاح فرصة التغيير.

وفي السيرة النبوية من الشواهد على ذلك ما لا يحصى:

١- أن الأصنام كانت تملأ جوف الكعبة، وتحيط بها، وتعلوها من كل جانب، و لم يقبل ﷺ على إزالتها بالفعل إلا يوم فتح مكة، في العام الثامن من الهجرة، أي أنها بقيت منذ بُعث إلى يوم تحطيمها إحدى وعشرين سنة، ليقينه ﷺ بأنه لو قام بتحطيمها من أول يوم، قبل أن تحطم من داخل النفوس، لأقبلوا على تشييدها وزخرفتها بصورة أبشع وأشنع، فيعظم الإثم، ويتفاقم الضرر، لذلك تركها، وأقبل يعد الرجال، ويزكي النفوس، ويطهر القلوب، حتى إذا تم له ذلك أقبل بهم يفتح مكة، ويزيل الأصنام، مرددا: «**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**» (٣).

---

(١) سورة الروم الاية٦٠.

(٢) مسلم، ١٨٦.

(٣) زاد المعاد، ٣٩٤/٣.

٢- قوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «**ألم ترَيْ أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم. فقلت: يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم، قال: لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت**».

فالنبي ﷺ هنا توقف في شأن تجديد الكعبة، وإعادتها إلى قواعد إبراهيم، خوفا من أن يؤدي ذلك إلى منكر أكبر، وهو الفرقة والشقاق، بدليل قوله في رواية أخرى: «.... **ولولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية، فأخاف أن تنكر قلوبهم...**» (١).

ومتى نسي المسلم -أو تناسى- فقه أسلوب تغيير المنكر وإزالته، وقع -لا محالة- في الاستعجال لظنه أو لتصوره، أن الأمر يجب تنفيذه فورا، وأنه آثم ومذنب إن لم يقم بذلك (٢).

* *

(١) فتح الباري، ٢٥/٥.

(٢) الهلالي، الدعوة والدعاة بين تحقيق التوكل واستعجال النتائج، ٩٦-٩٠، بتصرف يسير.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تكتمل المهمات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فهذا موضوع زلت فيه أقدام، وحارت فيه أفهام، عرضت من خلال دراستي له ما رأيته صوابا، اتباعا للحق، ونصحا للخلق، وذلك من خلال عشرة مباحث متوالية، بيانها كالتالي:

١- المبحث الأول: الغلو في الدين (جماعة الخوارج أنموذجاً).

٢- المبحث الثاني: بدعة التكفير (جماعة التكفير والهجرة أنموذجاً).

٣- المبحث الثالث: الانحراف في مفهوم الحماس (جماعة الإخوان المسلمين أنموذجاً).

٤- المبحث الرابع: الانحراف في فقه التعامل الصحيح مع الحاكم أو ولي الأمر.

٥- المبحث الخامس: الانحراف في مفهوم الجهاد.

٦- المبحث السادس: الانحراف في مفهوم الولاء والبراء.

٧-المبحث السابع: الخلل في مفهوم التوكل.

٨- المبحث الثامن: الخلل في أسس التعامل الشرعي مع أهل الذمة.

٩- المبحث التاسع: الخلل في ثقافة الحوار مع الآخرين.

١٠- المبحث العاشر: الخلل في ثقافة الصبر، واستعجال النتائج.

وهاهو القلم يحط رحاله، ليصل هنا إلى بيان أهم نتائج هذه الدراسة وهي:

١- تميز دين الإسلام بميزة الوسطية، وما فيها من خير وفير لهذه البشرية، فلا إفراط فيه ولا تفريط، ولا وكس ولا تشطيط.

٢- أن اليسر والتيسير والتسامح والتبشير معالم رئيسة، في الدين الذي ارتضاه الخالق لجميع الخليقة.

٣- أن للغلو جذورًا تاريخية، أفاد منه صنفان في عصرنا هذا: صنف داخلي - وهو الأخطر- وصنف خارجي واضح للعيان.

٤- للغلو جذور فكرية، ونفسية، واجتماعية، يجدر بأهل الاختصاص دراستها وبيانها، ويجب علاجها.

٥- لولي الأمر من الحقوق ما لا يجوز معه العقوق، إذ هو ناصر الدين، وحامي بلاد المسلمين، رحمة بالعباد من رب العالمين.

٦- أهمية ضبط النفوس بالدليل الصريح، والعقل الصحيح، إذ كم جر الحماس الأرعن المجرد منهما، من الويلات والنكبات على أمة خير البريات.

٧- التوكل على الله، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، علامة فارقة للمسلمين، وهو زاد العباد، الموصل-بإذن الله- إلى جنة رب العباد.

٨- مما ينقض التوكل من أصله، قلة الصبر، واستعجال تحقيق النتائج، ولذا تعاضدت الأدلة، الآمرة بالصبر، والناهية عن الاستعجال.

* *

أهم التوصيات

١- توصي الباحثة بأهمية نشر العلم الشرعي، المبني على العقيدة السلفية الصحيحة، وإحياء دور العلماء الربانيين في ذلك.

٢- توصي الباحثة بمزيد من الحوار، والنصح، لأرباب هذا الفكر الضال، إحقاقا للحق، ورحمة بالخلق.

٣- توصي الباحثة أهل العلم والفكر، أن يولوا فئة الشباب مزيد عناية، إذ هم – بعد الله– عماد الأمة الذي بصلاحه ستكشف –بإذن الله– الغمة.

٤- توصي الباحثة الجهات ذات العلاقة أن يكون تعاملها مع هذه القضية تعاملا شموليا، ينظر إلى الأسباب، والحال، والمآل، سعيا لقمع آفة الإرهاب، بإذن العزيز الوهاب.

٥- العنف لا يواجه بالعنف، هذا ما شرعه الله، وطبقه رسوله الكريم، وأثبتته الأيام والتجارب، و العاقل الرشيد: من يفيد من تجارب السابقين، إذا كانت وفق شرع رب العالمين.

٦- توصي الباحثة أصحاب القرار بأهمية إعادة النظر في الأحوال الاجتماعية، ومدى علاقتها من عدمه، بهذه المعضلة، إذ إن هذه الفئة المنحرفة جزء من مجتمع فاضل، يسعى أهل الحل والعقد فيه، إلى تحقيق أمن البلاد، وراحة العباد، سعيا للوصول بالجميع إلى رضا رب العباد.

٧- توصي الباحثة الجميع بتقوى الله سرا وعلنا، وأن تكون جميع تلك الجهود ترمي إلى أن يهنأ الجميع في اليوم الموعود.

وختاما: فيعلم الله أني كتبت ما كتبت وأنا على خوف ووجل، خشية الوقوع فيما حذرت الدراسة فيه من الزلل.

ولذا أرى أن من الواجب القول: "فيا أيّها النّاظر فيه لك غُنْمُه وعلى مؤلفه غُرْمُه، ولك صفوه، وعليه كدره، وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك، وبنات

أفكاره تُزَفُّ إليك، فإن صادفت كفؤاً كريماً لم تُعْدم منه إمساكاً بمعروف، أو تسريحاً بإحسان. وإن كان غيره فالله المستعان، فما كان من صواب فمن الواحد المنّان. وما كان من خطأ فمني ومن الشّيطان، والله بريء منه ورسوله"(١).

فاللهم رحماك بيد كتبت، وعين قرأت، وأذن سمعت؛ وألسن ذكرت، همها: نفي تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، اللهم آمين.

* *

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص٣٠.

فهرس الآيات

الآيات الكريمة	السورة
وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا	إبراهيم
خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ	الأنبياء
وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا	الإنسان
لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ	البقرة
وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا	البقرة
إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا	التوبة
لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ	الحج
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ	الطلاق
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	الفاتحة
ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ	قريش
لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم	الممتحنة
فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	النحل
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ	النساء
وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟	النساء
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ	النساء
وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا	النساء

الآيات الكريمة	السورة
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ	النساء
إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ	التوبة
﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ	القصص
﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ	آل عمران

* *

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
أحي والداك	١٦
إذا خرج ثلاثة في سفر	١٣
إذا قال الرجل لأخيه يا كافر	٧
ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلَّفه فوق طاقته...	٢٤
ألم تري أن قومك	٣٣
إنكم ستفتحون أرضًا يُذكر فيها القيراط،	١٨
على المرء السمع والطاعة	١٣
قد أجرنا من أجرت	٢٦
قدمت علي أمي وهي مشركة	٢٦
كان الرجل فيمن قبلكم يحفر	٣٢
كان رسول الله إذا سافر يتعوذ	٢٧
لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً.....	١
لم يرح رائحة الجنة	٢٦
لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله	٢١
ليس من رجل ادعى لغير أبيه	٢٧
المؤمنون تتكافأ دماؤهم	٢٦
من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، ...	١
من أطاعني فقد أطاع الله	١٤
من قَتَل معاهَدًا لم يرَحْ رائحةَ الجنة.....	١٨
نحن أمة أمية	٩
يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَان....	٥

فهرس المصادر والمراجع

"من شكر العلم أن تستفيد الشيء، فإذا ذكر لك قلت: خفي علي كذا وكذا، ولم يكن لي به علم حتى أفادني فلان فيه كذا وكذا، فهذا شكر العلم.

قلت: ولهذا لا تراني أذكر في شيء من تصانيفي حرفا إلا معزوا إلى قائله من العلماء، مبينا كتابه الذي ذكر فيه"(١).

١- القرآن الكريم.

٢- آثار الحرب في الفقه الإسلامي.

٣- الأحكام السلطانية.

٤- أحكام أهل الذمة.

٥- الأدب الفرد.

٦- أصول الحوار.

٧- الأمالي.

٨- تاريخ الأمم والملوك.

٩- تفسير البيضاوي.

١٠- تفسير القرآن العظيم .

١١- توحيد الخلاق.

١٢- جامع العلوم والحكم.

١٣- الجماعات الإسلامية.

١٤- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.

١٥- الحاشية.

١٦- الحوار آدابه و ضوابطه في ضوء الكتاب والسنة.

١٧- الحوار أصوله المنهجية و آدابه السلوكية.

---

(١) الإمام السيوطي في كتابه المزهر، ٣١٩/٢.

١٨- خزانة الأدب.
١٩- الدرر السنية.
٢٠- الدرر المنثور.
٢١- الدعوة والدعاة بين تحقيق التوكل واستعجال النتائج.
٢٢- زاد المعاد.
٢٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة.
٢٤- سنن ابن ماجه.
٢٥- سنن الترمذي.
٢٦- السياسة الشرعية.
٢٧- السيل الجرار.
٢٨- شرح النووي على صحيح مسلم.
٢٩- شرح كتاب التوحيد.
٣٠- الصحاح.
٣١- صحيح البخاري.
٣٢- صفة الصفوة .
٣٣- العقيدة الإسلامية وتاريخها.
٣٤- الغلو في الدين.
٣٥- فتح الباري.
٣٦- فتح المغيث.
٣٧- الفرق بين الفرق.
٣٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل.
٣٩- فنون الحوار والإقناع.
٤٠- القواعد الكبرى.

٤١- الكامل في التاريخ .
٤٢- مجموع الفتاوي.
٤٣- مدارج السالكين.
٤٤- مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري.
٤٥- معالم التنزيل.
٤٦- المعجم الكبير.
٤٧- مفتاح دار السعادة.
٤٨- مقالات الإسلاميين.
٤٩- ملاك التأويل.
٥٠- الملل والنحل.
٥١- نظرات في منهج الإخوان.
٥٢- النّهاية في غريب الحديث.

* * *